

قصيدة

صوت صفير البابل المنسوبة للأصمعي

لا تصح

مصدر البحث

كتاب إسعاف الأخيار بما اشتهر ولم يصح من الأحاديث والآثار

والقصص والأشعار

لمحمد بن عبدالله باموسى

(٤٢٣ - ٤١٨ / ٢)

(٣) الأبيات المنسوبة للأصمعي - رحمه الله - .

صَوْتُ صَفِيرِ البُلبُلِ هَيَّجَ قَلْبِي الثَّمَلِ

(لا تصح)

قلت: لقد شاعت وذاعت وانتشرت في عصرنا هذا، هذه القصيدة، المتهافئة المعاني والمباني، وأصبح الشباب يتندرون بها في المجالس والمناسبات والأفراح، ويتفكهون بها في المحافل والرحلات ويعطون الجوائز والعطايا لمن حفظها، وأصبح من يحفظ هذه القصيدة نجماً لامعاً، وبدراً ساطعاً، يُشار إليه بالبنان ربما أكثر ممن يحفظ القرآن والمتون العلمية نظماً ونثراً .

وهذه القصيدة منسوبة للإمام الجليل الأصمعي عبد الملك بن قريب - رحمه الله-، وقد صنعت لهذه القصيدة قصة أكثر تهافتاً من القصيدة.

وخلاصة هذه القصة: أن أبا جعفر المنصور كان يحفظ الشعر من مرة واحدة، وله مملوك يحفظه من مرتين وجارية تحفظه من ثلاث مرات، فكان إذا جاء شاعر بقصيدة يمدح أبا جعفر بها حفظها أبو جعفر من أول مرة ولو كانت ألف بيت!! ثم يقول له: إن القصيدة ليست لك وهاك اسمها مني، فأنا أحفظها من قبل ثم ينشدها كاملة، ثم يردف قائلاً: وهذا المملوك يحفظها أيضاً، وقد سمعها المملوك مرتين، مرة من الشاعر ومرة من الخليفة فينشدها، ثم يقول الخليفة: وهذه الجارية تحفظها كذلك، وقد سمعتها الجارية ثلاث مرات، فتنشدها فيخرج الشاعر مُكذِّباً مُتَهَمًا.

قال الراوي: وكان الأصمعي من جلسائه وندمائه، فعرف حيلة الخليفة فعمد إلى نظم أبيات صعبة، ثم دخل على الخليفة وقد غير هيئته في صفة أعرابي غريب ملثم، لم يبن منه سوى عينيه فأنشده القصيدة المذكورة .

قال الراوي: فلم يحفظ القصيدة الخليفة ولا المملوك ولا الجارية.

فقال الخليفة للأصمعي: يا أخوا العرب هات ما كتبت فيه نعطيك وزنه ذهباً، فأخرج قطعة رخام وقال: إني لم أجد ورقاً أكتبها فيه فكتبتها على هذا العمود من الرخام، فلم يسع الخليفة إلا أن أعطاه وزنه ذهباً فنقد ما في خزانته.

الأبيات:

صَوْتُ صَفِيرِ الْبُلْبُلِ	هَيَّجَ قَلْبِي النَّمْلِ
الْمَاءِ وَالزَّهْرُ مَعَا	مَعَ زَهْرٍ حَظِّ الْمَقْلِ
وَأَنْتَ يَا سَيِّدَ لِي	وَسَيِّدِي وَمَوْلى لِي
فَكَمْ فَكَمْ تَيَّمَنِي	عُزِّيْلُ عَقِيْقَلِي
قَطَّفْتُ مِنْ وَجْتِهِ	مِنْ لَثْمٍ وَرْدِ الْحَجْلِ فَلَمْ
فَقَالَ بَسْ بَسْبَسْتِي	يَجِدُ بِالْقُبْلِ
فَقَالَ لَا لَا لَا لَا	وَقَدْ غَدَا مُهْرُولِ
وَالْخُودُ مَالَتْ طَرَبًا	مِنْ فِعْلِ هَذَا الرَّجْلِ

فَوَلَوَلَّتْ وَوَلَوَلَّتْ
 وَبَيَّيْنِي اللَّوْلُوْلِي
 يُرِيدُ غَيْرَ الْقَبْلِ
 إِلَّا بِطَيْبِ الْوَصْلِ لِي
 انْهَضْ وَجِدْ بِالنَّقْلِ
 قَهْوَةٌ كَالْعَسَلِ لِي
 أَرْكَبُ مِنَ الْقَرْنُفْلِ
 بِالزَّهْرِ وَالسُّرُورِ لِي
 وَالطَّبْلُ طَبٌّ طَبْلٌ لِي
 وَالرَّقْصُ قَدْ طَبَّطَبَ لِي
 عَلَيَّ وَرَقٌ سِفْرَجَلِ
 مِنْ مَلَلٍ فِي مَلَلِ
 عَلَيَّ جَمَارٍ أَهْرَلِ
 كَمَشِيَّةِ الْعَرْجُلِ
 فِي السُّوقِ بِالْقُلُقُلِ
 خَلْفِي وَمَنْ حُوَيْلِي
 مِنْ خَشِيَّةِ الْعَقْفَلِي
 مُعْظَمٍ مُبَجَّجَلِ

فَوَلَوَلَّتْ وَوَلَوَلَّتْ
 فَقُلْتُ لَا تُؤْلُوْلِي
 لَمَّا رَأَتْهُ أَشْمَطَا
 وَبَعْدَهُ لَا يَكْتَفِي
 قَالَتْ لَهُ حِينَ كَذَا
 وَفَتْيَةٍ سَقَوْنِي
 شَمَمْتُهَا بِأَنْفِي
 فِي وَسْطِ بُسْتَانٍ حُلِي
 وَالْعُودُ دَنْ دَنْدَنْ لِي
 وَالسَّقْفُ قَدْ سَقَسَقَ لِي
 شَوَى شَوَى وَشَاهِشُ
 وَعَرَدَّ الْقَمَرِ يَصِيحُ
 فَلَوْ تَرَانِي رَاكِباً
 يَمْشِي عَلَيَّ ثَلَاثَةَ
 وَالنَّاسُ تَرْجَمُ جَمَلِي
 وَالْكُلُّ كَعَكَعُ كَعَكَعُ
 لَكِنْ مَشِيْتُ هَارِباً
 إِلَى لِقَاءِ مَلِكِ

يَأْمُر لِي بِخَلْعَةٍ حَمْرَاءَ كَالدَّمِّ دَمَلِي
 أَجْرُ فِيهَا مَا شِئاً مُبَغِّدِ دَأَّ لِلدِّيِّ لِي
 أَنَا الْأَدْيِبُ الْأَمْعِي مِنْ حَيِّ أَرْضِ الْمُوصِلِ
 نَظَّمْتُ قِطْعاً زُخْرِفَتْ يَعْجِزُ عَنْهَا الْأَدْبُ لِي
 أَقُولُ فِي مَطْلَعِهَا صَوْتُ صَفِيرِ الْبُلْبُلِ

وهذه القصة مع الأبيات ذكرها صاحب كتاب "إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس" (١/٨٥) لمحمد دياب الإتيدي (ت: ١١٠٠) وهو مجهول لم يزد من ترجموا له على ذكر وفاته وأنه من القصاص.

"الأعلام للزركلي" (٦/١٢٢).

وذكرها صاحب كتاب "مجانبي الأدب من حقائق العرب" للويس شيخو اليسوعي (ت: ١٣٤٦) وهو رجل متهم، ويكفي أنه بنى أكثر كتبه على أساس فاسد. "الأعلام للزركلي" (٥/٢٤٦)، "تاريخ الأدب العربي" (١/٢٣).

التعليق على الأبيات والقصة :

أقول هذه القصة السقيمة والنظم الركيك كذب لا يصح لأمر:

- (١) أن القصة المذكورة لم ترد في مصدر موثوق.
- (٢) أن صلة الأصمعي كانت بهارون الرشيد لا بأبي جعفر المنصور الذي توفي قبل أن ينبغ الأصمعي ويشتهر.

(٣) قال الأخفش: كان الأصمعي أعلم الناس بالشعر وكان يميز الغث من السمين وكان راوية العرب، كان يحفظ أكثر من عشرة آلاف أرجوزة غير الشعر لكنه لم يكن شاعراً أبداً. فإذا عرفنا هذه المنزلة التي وصل إليها الأصمعي من الفصاحة والبيان ثم رأينا ما احتوته هذه القصيدة من الركاكة والتي هي أشبه ما تكون برقى السحرة والتمثيلات الطفولية. ولهذا انتقدها كثير من الشعراء والأدباء وبهذا يتضح لنا وجه الافتراء على الأصمعي إذ لا تصدر هذه من عاقل فضلاً عن عالم حجة جليل.

(٤) وعلى فرض أن الأصمعي قالها هل يعقل أن يكافئه المنصور على مثل هذه الطنطة والذندنة بمثل هذه المكافأة العظيمة، والمنصور في المنزلة التي يعرفها الجميع فصاحة وقدرة على تمييز السقيم من الصحيح، ثم إن المنصور كان يُلقب: (بالدوانقي) لشدة حرصه على أموال الدولة، فهل يا ترى ينفق أموال المسلمين هكذا بهذه الصورة الساذجة

(٥) إن الناظر في هذه القصيدة يرى فيها مخالفات شرعية يُنزه عنها الأصمعي -عبد الملك بن قريب- العالم الجليل الحجة مثل: ذكر الطبل والطرب والخمر والرقص... إلخ.

- (٦) كذلك ما نُسب فيها من كذب وتزوير وخذاع الأصمعي للمنصور، وخذاع المنصور للشعراء، والكذب عليهم كل هذا وغيره يزيد القصة والأبيات تهافتاً ووهناً على وهن.
- (٧) سئل شيخنا العلامة المحدث مقبل الوادعي -رحمه الله- عن هذه القصيدة فقال: لا تصح.